لغة البادية

الأستاذ عبدالله بن خميس
«الرياض»

البادية خلاف الحاضرة ، وجمعها بـــوادي ، وتسمى بداوة بالكسر ، والنسبة اليها : بـــداوي ، بالفتح والكسر ، وبدوي أيضا .

وهي من بدا اذا نشأ ، أو اذا ظهر وبرز . وهو الارجح ، لبروز البادية في الفيافي والقفار ..

والبادية هم سكان الوبر ، الذين يتتبعـــون مساقط الغيث ، ويطلبون الكلأ والمرعى لماشيتهم ، ولا يستقر بهم القرار في مكان معين ، الا في فصـــل الصيف حيث يقطنون المناهل ، ويدنون من الميـــاه . والبادية هي اصل العرب ، وسكان جزيرتهم الاولون ، وسفر لغتهم المعتمد ، منها تكونت الحواضر ، واليها ترجع الارومات الاصيلة ، ومنها تفرعت الشعـــوب والقبائل ..

وهي في الجاهلية رمز العرب ، ووجههم الامثل، وفي الاسلام — كما قال عمر — اصل العرب ومـــادة الاسلام . صريح اللغة وفصيحها مصدره البادية ، وعادات العرب الكريمة، وتقاليدهم الاصيلة، ومميزاتهم الاثيرة .. مصدرها البادية ، والشعراء المقاويـــل ، والخطباء المصاقع ، والمتكلمون اللسن .. اعلامهـــم ، ومبرزوهم ، من البادية .. لم تفسد الحضارة سجنهم ، ولم تلن السنتهم ولم تغمز لهم صعدة ، ولم تقل لهم حد .. يتكلمون بالسليقة والفطرة ، فتفتر شفاههم عن قول فصل ، وكلام جزل ، وبيان سليم مستقيم .. يصدر عن طبع أبي ، وخاطر ذكي ، ولسان ذرب طلق ..

هذه الصفات دفعـــت بالامراء ، والرؤســـاء والخلفاء ، وعلية القوم ، وذواتهم .. ان يبعثوا بابنائهم الى البادية ، المدرسة الاولى لتربية اصيلة ، تعطـــي الشاب الى جانب الرشاقة ، وبناء الجسم بناء رياضيا متينا ، وتكوينا متكاملا فارها .. تعطيه قوة الشخصية، واستحصاد الراي ، ونفاذ الارادة ، ومصادر الشجاعة والدربة ، وسلامة المنطق ، وقوة العارضة ..

قال بعض الاعراب : نحن امراء الكلام ، فينـــا وشجت عروقه ، وعلينا تدلت غصونه ، فنحن نجني منها ما احلولى وعذب ، ونترك ما املوح وخبث ..

وقال الجاحظ : ليس في الارض كلام هو امتع ، ولا انفع ، ولا آنق ، في الاسماع ، ولا اقود للطباع ، ولا افتق للسان ، ولا أجود تقويما للبيان .. من كـــلام الاعراب الفصحاء العقلاء .

ووصفهم الحارث بن كلدة امام كسرى فقـــال : لهم انفس سخية ، وقلوب جرية ، وعقول صحيحة ، وانساب صريحة يمرق الكلام من افواههم مـــروق السهم من الرمية ، اعذب من الماء ، وارق من الهواء يطعمون الطعام ، ويضربون الهام ، وعزهم لا يرام ، وجارهم لا يضام .. ووصف احدهم امراة فقال : كاد الغزال يكونها ، لولا ما نقص منه وتم منها .

واوجز احدهم قصيدة كاملة في جملة مقتضبـــة فقال : سبقنا الحي ، وفيهم ادوية السقام ، فقران بالحدق السلام ، وخرست الالسن عن الكلام ..

فى هذه البيئة المتابية ، واللغة الصريحة .. تربى سيد العرب عليه السلام ، وتربى اعلام الخلافة ، وكبراء القادة ، ونبلاء المجتمع الاسلامي .. ولم يكن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، من ثقفته البادية ، واصلحت لسانه ، فكان لحنة ، وظل لحنه وصمة عار فى تاريخه . قال ابوه : اضر بالوليد حبنا له حيث لم نبعثه الى البادية .

خطب الناس يوم عيد فقرأ فى خطبته : يا ليتها كانت القاضية بضم تاء ليت . فقال عمر بن عبد العزيز: عليك واراحنا الله منك .

وعن البادية اخذ علماء اللغة فصيحها ، ومتوحها ، وتعلموا فى اختيار الافصح ، والا بعد عن الحواضر ، ومجاورة الاعاجم .. فعنوا عناية فائقة بما دونوه ، فاخلصوا لغة العرب فى صميمها الذين لم ترتضخ لغتهم عجمة ، ولم يخدشها شذوذ ، ولم يداخلها تقصير .. دونوا لغة قريش ، وقيس ، وتميم ، واسد ، وهذيل ، وبعض كنانة ، وبعض طيء ..

وتحاشوا الاخذ من لغة لخم ، وجذام ، وقضاعة، وغسان ، واياد .. لمجاورتهم اهل الشام . وكذلك تحاشوا لغة تغلب ، ويمن الجزيرة ، وبكر ، وعبد القيس ، وازد عمان ، واهل اليمن ، وبني حنيفة ، وثقيف .. لمجاورة بعضهم للفرس ، ولمجاورة الآخرين للاحباش ، ولان بعضهم اهل تجارة ، ونقلة ، واختلاط بمشبوهي اللغة ..

فاخلصوها من تلتلة بهراء ، ومن طمطمانية حمير ، ومن كشكشة ربيعة ، ومن ككة هوازن ، وفخفخة هذيل ، ووكم ربيعة ، ووهم كلب ، وعجعجة قضاعة ، وشنشنة اليمن ووتمها ، وعجرفة ضبة ..

وممن أخذ عن البادية ، ولقيهم فى مرابعهم ومراتعهم ، وسمع منهم : يونس بن حبيب الضبي ، وخلف الاحمر ، والخليل بن احمد ، وابو زيد الانصاري ، والاصمعي ، وابو عبيدة ، والكسائي.. وهؤلاء هم من أول من رحل الى البادية واخذ عنها ، وهم من علماء القرن الثاني ..

وكان العلماء فى القرن الاول يعتمدون الفطرة ، ويرجعون الى السليقة ، ويستانسون بمن يلقونه من الاعراب ، ولما أوغل العلماء فى التحقيق ، وتأنقوا فى الاحصاء والاستقصاء ، وبعدت الحواضر الاسلامية عن البادية ، وداخل لغة البادية المجاورين للحواضر ما داخلها .. بدأ عصر الرحلات ، ولقيا الاعراب ..

وكانوا اذا لقوا الاعرابي وشكوا فى سلامة لغته ، امتحنوه ، وربما وضعوا له قياسا غير صحيح ، او جمعا غير وارد ، أو لفظا غير فصيح ، فان نطق به ، أو اقره ، طرحوا لغته ، وان أبت سليقته ذلك أخذوا عنه ..

قال الاصمعي : سمعت أبا عمرو يقول : ارتبت بفصاحة اعرابي ، فاردت امتحانه ، فقلت بيتا ، والقيته عليه وهو :

كم رأينا من مسحب مسلحب
صار لحم النسور والعقبان

فأفكر فيه ، ثم قال رد على ذكر المسحوب ، حتى قالها مرات : فعلمت ان فصاحته باقية ..

وقال ابن جني : سألت مرة الشجري ـ وهو اعرابي من عقيل ، كانوا يرجعون اليه فى اللغة ـ ومعه ابن عم له ، كان دونه فى الفصاحة ، وكان اسمه غصنا ـ فقلت لهما : كيف تحتران حمراء ؟ فقالا : حميراء ، ووالله من ذلك احرفا وهما يجيئان بالصواب ، ثم دسست فى ذلك علباء ، فقال غصن : عليباء وتبعه الشجري فلما هم بفتح الباء : تراجع كالمدعور ، ثم قال : آه عليبى ..

وقال فى موضع آخر : سألته يوما ـ يعني الشجري ـ : كيف تجمع دكانا ؟ فقال دكاكين . قلت : فسرحانا ؟ قال : سراحين .. قلت فعثمان؟ قال : عثمانون ! فقلت له : هلا قلت عثامين ؟ قال : أيش عثامت ؟ أرأيت انسانا يتكلم بما ليس من لغته ؟ .

وهكذا خاطب القرآن هؤلاء القوم ، بمستوى من البيان على غير مثال سبق ، ونهج من التعبير على غير مهيع عرف ، وبلاغة من القول هي المثل الاعلى ، والقول الفصل .. فى كل ما تكلمت به أمة الضاد ..

لقد كان ازدهار لغة العرب بين يدي الاسلام برعيل ممتاز من الشعراء المقاويل ، وبصفوة من الخطباء المصاقع ، وبصيارفة من النقاد ، يزنون ما تفيض به قرائح القوم ، وما تجود به خواطرهم .. كانت تلك اليقظة اللغوية ، توطئة بين يدي الاسلام ، وترشيحا للذهن العربي لاستقبال المعجزة المنتظرة .. فكان البيان العربي قبيل ظهور الاسلام ، غاية فى الابداع ، ونموذجا حيا فى تاريخ اللسان العربي .. والا لما وقعت آية محمد عليه السلام من هؤلاء المقاويل ، موقع الذهول ، ثم الاستسلام ..

لم يكن الاعراب بلغتهم الصافية، وذكائهم الفطري واستعدادهم الذهني .. قوم استماع ولهم فحسب ، بل رشحتهم هذه الصفات ، ليكونوا مرجعا فى تفسير القرآن ، وايضاح غريبه ، وتاصيل لغته ..

سأل عمر بن الخطاب وهو على المنبر جماعة المسجد عن معنى قوله تعالى : او ياخذهم على تخوف. فسكت القوم ثم قام شيخ من هذيل فقال : هذه لغتنا التخوف : التنقص . قال عمر : هل تجد له شاهدا من لغة قومك ؟ قال نعم . قال شاعرنا :

تخوف الرحل منها تامكا قـــــردا
كما تخوف عود النبعة السفـــــن

وكان ابن عباس ــ وهو حبر الامة ، وترجمان القرآن ــ يقول : الشعر ديوان العرب ، فاذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي انزله الله بلغة العـرب ، رجعنا الى ديوانها ، فالتمسنا معرفة ذلك منه .

وكان رضي الله عنه يجلس بفناء الكعبة ، ثـــم يكتنفه الناس ، يسالونه عن التفسير ، وثبته مـــن كلام العرب ، وقد استشهد على جواب سؤال واحـد بنيف وتسعين بيتا من الشعر العربي الفصيح .. وهو ما سأله عنه نافع بن الازرق .

وتابى سليقة الاعـراب ان تقبـل ما خـرج عن مقاييسها الفطرية ، او تفهم ما جاءى لسانها . بل ترد كل ما سمعته الى اصوله ..

دخل اعرابي على الوليد بن عبد الملك ــ وقـد اسلفنا انه لحان ــ وكان عنده عمر بن عبد العزيز ، فقال الوليد للاعرابي : من انت بوصل الهمزة ؟ فظـن الاعرابي انه يقول : مننت فقال : المنـة لله ولاميـر المؤمنين . فقال عمر بن عبد العزيز : ان امير المؤمنين يقول لك : من انت ؟ قال : فلان بن فلان . قال الوليد : ما شانك وفتح النون ؟ قال جدري فى وجهي ، ونحج بساقي . فقال عمر بن عبد العزيز : ويحك ان امير المؤمنين يقول : ما شانك وضم النون ؟ قال ظلمنـي ختني . قال الوليد : ومن ختنك وفتح النون ؟ قال : وما سؤالك عن ذلك يا امير المؤمنين حجام عندنـا بالبادية قال عمر : ان امير المومنين يقول لك : من ختنك وضم النون ؟ قال : فلان . وهكذا نـدرك ان البادية مصدر اللغة العربية الاول ، ومعدنها الاصيل ، وهي المرجع فيما اختلف فيه ، حتى فى الفاظ القرآن والسنة .

ورغم ما اصاب الامة العربية من نكبات وهزات، عبر القرون المتتالية ، ورغم ما لحق لغتهـا مـــن انتكاسات ، وعلق بها من اوضـار ، وداخلها من عجمة.. مما جعل المعول فى حفظها ، وبقائها .. على القـرآن الكريم ، وعلى معاجم علمائها البررة .. رغم ذلك كله فقد بقيت البادية الى يومنا هذا ، تعتز بلغتها ، وتدل بلسانها الذرب ، وبيانها الجميل .. ففي هضبة نجد ، ومرتفعات الحجاز ، ومناكب السروات .. قبائل تابت لغتها على الواكـز واللاكـز ، وانفت من اللغـة الحضرية اللينة الملحونة . وهي وان كانت لا تنطق لغة القرآن سليمة مستقيمة، ولا تواكب لغة امرىء القيس، والنابغة ، وزهير .. واضرابهم ، على نحو ما وصل الينا من شعرهم ، الا اننا نجعل فى الحسبان اختلاف اللهجات ، بشكل واضح ، ربما يصل الى استعصاء فهم قبيلة لهجة اخرى فى بعض الاستعمالات والمسميات. ومعلوم ان لغة القرآن حصرت فى لسان قريش .. كما نجعل فى الحسبان ايضا ما هنالك من تسهيل فى الهمز، وتسكين لاواخر الحروف ، وادغام لبعضها فى بعض .. ونحو ذلك مما يكاد يتفق فيه نطق الجميع .. بحيث اذا اجتمع بهم دارس العربية ، واستمع اليهم ينطقون.. ظنهم يرتضخون عجمة موغلة .. واذا تدبر ما يقولون ، وتفهم حقيقة النطق .. تكشفت له حقائق ما كان يظنها باقية فى قومه .. وابرز ما يكون هذا فى بلاد عسير ، وسراة تحطان ، ومنحدرات جبال الجنوب ، وسهول نجـــد ..

فى احدى زياراتي لتلك المناطق ، كنت يومـــا جالسا فى دكان احد الاخوة فى مدينة ابها ، فدخـــل الدكان رجل مؤتزر بازار مصبوغ باللون الاحمر الغامق، ويلف اعلى جسمه ما عدا منكبه الايمن ، وجزءا مـن جنبه ، برداء سمك اغبث ، يشد وسطه على خنجـر مفرطة الطول ، بحزام من الادم ــ هذا الرجل قصير اسمر ، نحيف ، عاري الاشاجع ، تتوقد عينـــاه ، وتريغان نظرهما هنا وهنالك ، مكشوف الراس ، عن لمة منسدلة على مؤخرة رقبته ، مشدودة برباط من الادم ، غارزا فى جوانبها طاقات من اغصان البعيثران والشيح .. فتكلم بما يشبه النقيق ، فهمه صاحب الدكان وانا لم افهمه .. ولما قضى حاجته احب هذا البائع ان يعرفني مكانة هذا من اللغة العربية ، سليقة ، وفطرة، وكان البائع يعرف اهتمامي بمثل ذلك . فاجلسه معنا ، وقال لي تفهم كل ما يقول ، فاخذ يسأله عن قبيلته ، وعن ارضه ، وماشيته ، ومن اية الطرق اتى ، وبماذا هبط المدينة.. الخ واذا به يتكلم اللغة العربية الفصيحة،

التي بعضها مهجور الاستعمال ، مودع بطون المعاجم ولولا سرعة نطقه ، وادغام بعض الفاظه ، وترك الهمز في بعضها ، لم يفتني من عربيته الاصيلة شيء..

قلت لصاحبي : ممن هذا ؟ قال : من قبيلة ربيعة. ومعلوم انها ربيعة اليمن لا ربيعة اخت مضر .

اما بادية نجد ، فهم صميم القبائل القحطانية ، والعدنانية . قحطان ، والدواسر ، وسبيع والعجمان، وآل مرة ، وبنو هاجر ، وبنو خالد ، والسهول ، وعتيبة، ومطير، وشمر، وحرب، وعنزة، والقرينية.. وغيرهم من القبائل الضاربة في نجد وما جاورها ، هؤلاء لكل منهم لهجة خاصة به ، من اليسير على العارف ان يلقى فردا لا يعرفه ، ولا يعرف من اية القبائل هو .. وبمجرد مخاطبته يدرك انه من القبيلة الفلانية ..

فمثلا قبيلة شمر ، نشير الى شيء من لهجتها : هي تقلب الهمزة (شيء) الى نون ، فتقول : ما رايت شينا ، وما وجد شين ، وما حظيت بشين .

وهي ايضا تستعمل لفظ (دهج) بمعنى مر ، او الم ، تقول : دهجت المنهل الفلاني : يعني مررت به ، او المت به .

وتستعمل (نهج) بمعنى ذهب ، ومرادفاته ، تقول : نهج فلان : بمعنى ذهب او سافر ، او راح ..

كما ان لهجتهم على مذهب القائل :

ايها السائل عنهم وعني
لست من قيس ولا قيس مني

فهم يحذفون نون الوقاية ، من (عن) و (من) الشاذ حذفها فيهما لغة ، اذا اتصل بها ضمير المتكلم . فيقولون : ليس عليك مني ، بكسر النون فقط . وهل سأل عني بكسر النون فقط وهكذا ..

وهم ايضا يقلبون الهمزة من (ماء) نونا فيقولون: مان :

وباء الجر المتصلة بالضمير يضمونها ، فيقولون: ما به مان : اي ما به ماء .

ويسمون الجدول : سريا ، وهذه موافقة للغة القرآن .

ويسمون السنبل : سبلا

ويسمون المنجل : مخلبا

ويسمون البندقية : بارودا .

وهكذا تتميز لهجتهم ، كما تتميز كل لهجة من اللهجات الاخرى ، عن اختها .. غير انها تلتقي في صميم اللغة وفصيحها .. وتجمع على محاربة الدخيل والشاذ .. ويتفق اهلها على نقد ما تأباه اللغة وتنكره.. ادخل احد الحضريين انفه في حديث في الابل ، بحضرة رجل كبير في بلادنا ، فجاء هذا الواغل بمفرد للابل ، فقال : ما راينا ولا (بلة) واحدة ، فكانت مثار سخرية ، وهمز وغمز ، واستهجان ومعروف ان الابل لا مفرد لجمعها ، وفي لهجتهم : يقال : ابل واحده للمجموعة الواحدة من الابل، وفي المجموعتين من الابل يقال : فلان يملك ابلين . ويقولون اذا تجاوزت الابلين: فلان يملك ثلاث رعايا ، او ثلاث عصي ، فيكنى بالعصا عن الابل . وهكذا .

واسماء اعضاء الناقة ، واجزاء جسمها ، تختلف عن اسماء ذلك . من الفرس ، ومن الشاة ، ومن غيرهما ، وكذا الحال بالنسبة للطير ، والوحش ، وسائر الدواب .. فاذا اعطى حضري ، او مستعرب ، اسما او صفة لجنس من ذلك هو معروف للجنس الثاني، فقد استهدف للنقد، وتعرض للسخرية والهزء..

ونجد ان من يعيش في احضان البادية من الحاضرة ، او يكثر الاحتكاك بالاعراب ، او يعيش في قرى او مواضع تربها البادية .. نجد لغته تتسم بالفحولة ، والجزالة والقوة ..

ولما كان الشعر حليفا للعربي منذ اقدم العصور، تغنى به وفخر ، ووصف وبكى ، ومدح ورثى .. وسلك به شتى المذاهب، وولج شتى الابواب .. ولم يزل كذلكم فما هو شعر بادية اليوم ونحن لا نزال نعترف لهم بسلامة اللغة واصالة المنطق !

رغم ان شعر البادية اليوم يسمى شعرا شعبيا، ويسمى شعرا نبطيا ، ويعيش في عصر فارق فيه شعر السليقة والطبع ، وسلامة اللغة ، منذ ما يزيد على الف سنة ، ولكنه ينزع الى اصله ، ويمت اليه .. تقرؤه على انه شعر شعبي ، ويقرؤه الكل كذلك ، ولكن اذا وقفت عنده وقفة الدارس ، واردت ان تواشج بينه وبين الفصيح ، وجدته يعود اليه ، ويعول في اوزانه ، ورويه وقوافيه ، عليه ، ويلتقي معه في اغراضه ومناحيه ، ويحمل صورا من الجمال، ودقات من الفن ، والموسيقى ، والجرس تطرب وتعجب ..

ان من يتذوق هذا الشعر ، بعد دراسة ورياضة طبع.. يجده ذلك الشعر الفصيح بعينه ، بل يمتاز عليه شعر البادية اليوم ، أو الشعر الشعبي ، بانطلاقه من بيئة عربي اليوم ، ومجتمعه ، وحمله طبع العربي ، وصفته كما خلقه الله ، من غير تحمل ، ولا تعمل ، حيث ينطلق من الخباء ، والمزرعة ، والريف ، والفلاة، والقرية ، والمعسكر . الخ .. أما شعرنا الفصيح اليوم، فهو ابن المدرسة ، أو المدينة المترفة ، أو المجتمع المتحضر ..

تعالوا نستقرىء طاقة من شعر البادية، ونتلمس خلالها صلتها بشعرنا العربي الفصيح :

قال الشاعر الشعبي ما جد القباني :

فما الناس الا من تراب معادن
وما طاب من تلك المعادن طابا

بيت من قصيدةشعبية طويلة، قالها اعرابي فيشملته انطلق فيها عن سجيته، وقرأها كما يقرؤها غير من رواة الشعر الشعبي، ومريديه، بلغة عامية دارجة .. ولكن حينما تعود بهذا البيت الى أصله ، بصفتك دارسا للشعر الفصيح ، ومتذوقا له، الست تجده بيتا موزونا متقنا ، سليم اللغة بكر السبل يرمز الى حكمة نبوية كريمة : الناس معادن كمعادن الذهب والفضة .. الخ.

ثم اقرأ للشاعر نفسه :

نديت على الدنيا شقا لو نديبه
على الدين ما مس النفوس عذاب

يقول نداب في طلب الدنيا ، دأبا لو دأبناه على ديننا ، ما مس نفوسنا عذاب . جرى شاعرنا على لغة من لا يهمز ، وقلب الهمزة ياء ، كما هو شأن الشعر الشعبي .

وللشاعر الشعبي راشد الخلاوي :

ولا يد الا يد الله فوقها
ولا غالب الا له الله غالبه

كل يد مهما تويت فهناك يد أقوى منها ، هي يد الله ، وكل غالب قاهر ، فالله أقوى منه ، وقادر على قهره ودحره .

وله أيضا :

غلي من قديم العمر نفس عزيزة
أعض على عصيانها بالنواجد

منذ نعومة أظفاري ، ونفسي لا تقبل الدون ، ولا ترضى بالهون ، واذا راودتني عصيتها ، وعضضت على عصيانها نواجذي ، فهي عزيزة أبدا ..

وقوله :

مقام الفتى في منصب العز ساعة
ولا ألف عام يصحب الذل صاحبه

فلا بالتمني تبلغ النفس حظها
ولا بالتأني فاز بالصيد طالبه

حياة الفتى هي العز ، ولو لم يكن الا ساعة واحدة ولو عاش ألف عام ، وهو في ذل ، فليست حياة الذل بحياة ..

ثم دعا في البيت الثاني الى العمل ، ورفض التمني ، ودعا الى انتهاز الفرص ، واهتبال الاوقات.. فبئس من كانت بضاعته الاماني ، وتعس من فرط في الفرص واضاعها ..

وقال الشاعر الشعبي ابو حمزة العامري :

نأبى عن الطمع الزهيد نفوسنا
وفروجنا تأبى عن الفحشاء

نفوسنا أبية لا تقودها المطامع الى ذلة ، وفروجنا عفة لا تستهويها الفحشاء .. ونعم الصفات صفاتهم .

وقال بركات الشريف :

فلا تعد تعدلاني لاني من وقوفي بربعها
فمن قبلكم خالفت بالنصح عذالي

أروم الامور العاليات بهمة
ويمنعني خذلان قومي واقلالي

وجزت فجاج الارض شرقا ومغربا
على كل عيس تقطع البيد مرقال

وليس يلام المرء بعد اجتهاده
ولا يدفع المقدور حيلات محتال

الى ان قال مادحـــا :

فتى لا يرى الامـــوال الا ودائعـــا
لديه سوى سيف ورمح وسربـــال

وعدة بولاد ولدن مـــن القنـــا
وصقرا علنداة من الخيل مصهـــال

الستم معي في ان هذا الشعر الى جانب كونه صحيحا فصيحا ، فهو يحمل صورا حية من الجمال ، ولفتات بارزة من المعاني الشعرية ، المؤثرة .. وانـــه بهذا يمثل الشعر العربي الفصيح ، رغم انه قيـــل بالسليقة ، ونبع من البيئة العامية ؟ !

وبعد فهذه هي لغة البادية ، نثرها وشعرها ، تبرز من خلالها سجايا هؤلاء الاعراب ، وتشف عن طباعهم الكريمة ، واخلاقهم المثلى ، وتنبيء عن الاصرة التي تربطها بالفصحى ..

لنا اذا لغة في بطون الاسفار ، نجترها ، ونرجع اليها ، ونصدر عنها .. تلتقي اخرى توارثتها السنة الاجيال ، وتناقلها الخلف عن السلف ، وبقيت مصدرها السليقة ، ومنطقها الطبع ، وحارسها الغيرة ..

وعلى الغيارى من علماء هذه الامة وادبائها في هذا الجيل مسؤولية حملها اياهم اسلافهم البـــررة الاوفياء ، الذين خلصوا هذه اللغة من كل شائبـــة وريبة ، ولم يزالوا قوامين عليها ، غيرا على حماها.. يلقون ما يخدش لغتهم بالنقد اللاذع ، ويتقبلـــون ما يانفونه بالرد الموجع ، ويلاحقون الواغل الدخيـــل ، كما يلاحق المجرم .. حتى وصلت الينا ..

فما هو موقفنا من هذا التراث الضخم ، في عصر العلوم ، والفنون ، والمخترعات . وعصر تواشـــج الامم ، وتقاربها واندماجها .. وعصر التقليد والمحاكاة ـــ تقليد الاضعف للاقوى .. ان هذه الامانة تستهدفها هذه التيارات ، وتنقصها من اطرافها ، وتنازعها البقاء .. تريد منا غيرة ولا كغيرتنا على التراب ، والكيـــان ، والمصالح ..

وتريد منا لغة البادية ـــ وقد علمنا مكانتها من لغتنا وقومنا ـــ ان نتخذ الوسائل الكفيلة برعايتهـــا ، وحمايتها وجعلها منطلقا لاحياء لغة الضاد ، سليقة وطبعا ، في السواد الاعظم من بني جلدتنا ، على نحو ما كان اسلافنا يعملون ، في الاستفادة من لغة البادية ، وطبعها ، وخشونتها ، ورجولتها ...

واننا ان شاء الله لفاعلون .